مصر فى الأرشيفات الروسية

أ. د. جينادى جارياتشكين

تحتل مصر مكان الصدارة فى الأرشيفات الروسية؛ نظراً للصلات التاريخية القديمة التى تربط مصر وروسيا، وتفيد الشهادات الأولى، أن الروس تواجدوا فى وادى النيل من بداية القرن الثانى عشر؛ منذ قيام الكاهن دانييل (من كييف) برحلة إلى الشرق، وهذه الرحلة لا تعد أول واقعة فى تاريخ العلاقات المصرية – الروسية، إذ هناك شهادات أخرى تؤكد وجود الروابط والوشائج بين البلدين، قبل مجىء هذا الكاهن إلى مصر.

ومن خلال استعراضنا لـ "الخريطة الأرشيفية الروسية"، يمكننا تسليط الأضواء على مراحل واتجاهات التعرف على مصر، وعلى مدى اهتمام كل من: الحكومة الإمبراطورية والمواطن الروسى، والدوائر الاجتماعية، بالتعرف على الواقع المصرى عن قرب؛ وذلك بإقامة حوارات أكثر اتساعاً مع مصر.

لقد كانت سياسة القياصرة الروس الشرقية- وعلى وجه الخصوص ايفان الرهيب فى الفترة من (١٥٣٣-١٥٨٤م) ، وبطرس الأول (١٦٨٢-١٧٢٥م) ، ويكاتيرينا الثانية (١٧٦٢ -١٧٩٦م)- فعالة جداً؛ إذ ضمت يكاتيرينا الثانية، شبه جزيرة القرم إلى روسيا، وحولتها بذلك إلى دولة بحر أسودية، وبحر متوسطية. وساهم وجود الأسطول الروسى فى حوض البحر الأبيض المتوسط فى إحداث التقارب الروسى-المصرى، نتيجة إبرام اتفاقية الصلح " كوتشول كينارجى"، مع الإمبراطورية العثمانية، وأصدرت يكاتيرينا الثانية مرسوماً، بتاريخ ١٩ أغسطس ١٧٨٤م، يقضى بإقامة أول قنصلية روسية فى المشرق العربى، فى مدينة الإسكندرية، وقد وصل القنصل الروسى، كوندراتى طونوس، لتسلم مهام منصبه

فى الثالث من شهر يوليو ١٧٨٥م(تقويم قديم) ، وأرسل منها، يوم ٢٤ يوليو، أول بلاغ قنصلى إلى سانكت بطرسبورج. وفى ذات التاريخ بدأ حفظ الوثائق الدبلوماسية، للسياسة الخارجية الروسية تجاه مصر، فى الأرشيفات الروسية.

أهم الأرشيفات الروسية:

إن وثائق وزارة الخارجية الروسية المتعلقة بمصر، ليست الوحيدة فى منشئات روسيا الاتحادية الأرشيفية، فمع تطور النظام الأرشيفى فى روسيا الإمبراطورية؛ وتوالى تدفق الوثائق إلى مستودعاتها، تكونت مجموعات عديدة فى المجالات المختلفة، كان من بينها مجموعات أرشيفية هامة تراكمت فيها معلومات عن مصر.

فى روسيا القيصرية، وفى الاتحاد السوفيتى كانت توجد- مثلما توجد الآن فى حقبة الاتحاد الروسى- شبكة واسعة من المنشئات الأرشيفية، وقد تسنى لكاتب هذه السطور العمل فى كبرياتها، مرارا، ابتداء من سبعينات القرن المنصرم.

ومما يجدر ذكره فى هذا الصدد، تواجد أربعة مراكز وثائقية: فى موسكو، وسانكت بطرسبورج (لينينجراد سابقا)، كما يوجد فى العاصمة موسكو أرشيف السياسة الخارجية لروسيا الإمبراطورية، وأرشيف الدولة المركزى للتاريخ العسكرى .. كما يوجد بسانكت بطرسبورج أرشيف رقم واحد، وهو أرشيف الدولة للتاريخ المركزى، والثانى من حيث الأهمية؛ بوصفه أرشيف الدولة المركزى للأسطول الحربى، فى العاصمة الشمالية، أى فى سانكت بطرسبورج (كما فى مصر بالضبط - الإسكندرية هى العاصمة الثانية والشمالية).

أما الأرشيفات الأخرى التى تتيح للباحث، الحصول على معلومات عن مصر من خلالها، فسنتحدث عنها فيما بعد.

أرشيف السياسة الخارجية لروسيا الإمبراطورية:

تحتوى أكبر المنشئات الروسية على مخزون وثائقى كبير عن مصر، يوضح النواحى المختلفة للأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية فى هذا البلد، وتشتمل على بيانات ومعلومات متنوعة عن مصر، بالدرجة الأولى، من الربع الأخير للقرن الثامن عشر حتى الحرب العالمية الأولى، وإذا بدأنا الحديث عن سياسة روسيا الخارجية تجاه مصر، بمراجعة صناديق أرشيف السياسة الخارجية لروسيا الإمبراطورية(وتجدر الإشارة هنا إلى أن حالة الأضابير التى يتم تخزينها فى المراكز الأرشيفية الأخرى جيدة نسبيا أيضاً)

والباحثون جميعاً، وبصفة خاصة الروس والمصريون، الذين يدرسون تاريخ واقتصاد وفلسفة وثقافة مصر، سيجدون ما ينشدونه من خلال الصناديق الآتية :

مكتب وزير الخارجية

السفارة فى القسطنطينية

الأرشيف السياسى

تقارير إلى صاحب الجلالة

الوكالة الدبلوماسية والقنصلية العامة فى مصر

علاقات روسيا مع تركيا: المكتب التركى (الجديد)، والمكتب التركى (القديم) البعثة فى طهران

سانكت بطرسبورج

سياسة روسيا الخارجية تجاه مصر

الأرشيف الرئيسى والأرشيفات الأخرى والتى تقدم وصفاً مختصراً للصندوق رقم ١٥١ "الأرشيف السياسى"، ويشتمل الملف رقم ٤٨٢ على حوالى

خمسة آلاف وخمسمائة إضبارة (وحدة التخزين) خاصة بمصر، ويبدأ هذا الملف من أضابير ذات طابع عام عن وصف مصر وتحتوى وحدات التخزين من ٢١٧ – ٨٧٦ على تقارير إلى صاحب الجلالة، ومراسلات سياسية بين القناصل الروس ووزارة الخارجية التى وجدت فى سانكت بطرسبورج ثم بأمر لينين حتى سنة ١٩١٨ انتقلت مع الحكومة البلشفية إلى موسكو.

وتضمن المواد والبيانات فى ٦٦٠ إضبارة، الأحداث فى الفترة ما بين ١٨٨١ – ١٩١٧.

ففيما يتعلق بتركيبة مضمون أضابير ٨٤١ – ٨٧٦ فهى: بلاغات ورسائل وبرقيات، مراسلات عامة .. يجب الإشارة هنا إلى أن جزءً أكبر من أضابير الأرشيف السياسى، وفى عدد من الصناديق الأخرى كتبت باللغة الفرنسية- لغة الدبلوماسية الدولية.

وفى نهاية القرن التاسع عشر بدأت الوثائق تظهر مكتوبة بالآلة الكاتبة وكانت تكتب من قبل باليد، وكان من النادر عثور الباحث على هذه المستندات الأرشيفية باللغة الإنجليزية، ومع نهاية القرن التاسع عشر تظهر بلاغات ومراسلات الدبلوماسيين الروس أكثر فأكثر باللغة الروسية.

والأحداث التى كان الدبلوماسيون يبلغون عنها فى المراسلات يحصلون من وزارة الخارجية الروسية على الأجوبة والتعليقات عليها، وكانت تحمل طابع متنوع وتعكس اهتمام هؤلاء الدبلوماسيون بكل شئ .

ولعل أهم ما يؤكد هذا الاهتمام ما طرحه قنصل الإمبراطورية الروسية العام مكسيموف فى بلاغاته عام ١٩٠٤ إلى وزير الخارجية لامزدوروف وكانت سنة صعبة للغاية بالنسبة للدبلوماسيين الروس نتيجة لهزيمة روسيا القيصرية فى حربها ضد اليابان عام ١٩٠٤.

ودخلت بلاغات مكسيموف فى الإضبارة رقم ٨٥٠ ملف ٤٨٢ فى صندوق " الأرشيف السياسى"، وكتب القنصل العام أنه بعد تبادل المذكرات مع الحكومة الخديوية حول "هجوم المدمرات اليابانية المفاجئ على أسطولنا فى بورارثور، وضرورة الرد بقوة على مثل هذا التحدى لروسيا، لم تحدد الحكومة المصرية موقفها من الجانبين المتحاربين" (ورقة ٢) وفى بلاغات ٢ ، ٣ فى ١٨ فبراير يعود مكسيموف إلى هذه المسألة من جديد لأنها كانت مهمة جدا بالنسبة للحكومة الروسية؛ إذ وضع مؤتمر باريس لسنة ١٨٨٥م، واتفاقية القسطنطينية لسنة ١٨٨٨ نظماً خاصة حول حركة السفن عبر قناة السويس حرمت استخدام الجانبين المتحاربين لها .. وقد احتاجت روسيا، التى أُغرق أسطولها فى الحرب مع اليابان، إلى تعزيزات كبيرة. لذلك كانت مسألة تحييد قناة السويس وإمداد السفن الروسية بالوقود وتصنيف السفن إلى حربية وغير حربية - حيوية جداً بالنسبة للدبلوماسيين الروس، الذين كانوا يطرحونها كثيراً أمام ممثلى الحكومة الخديوية واللورد كرومر.

وانعكس فى هذه الإضبارة أيضاً موضوع الاتفاقية الإنجليزية - الفرنسية لعام ١٩٠٤ وتأثيرها على مصر، ورد فعل الخديوى عباس الثانى حلمى، منها أوراق ٣٨ ظهر - ٦٢ ظهر وهنا أيضاً يقدم القنصل الروسى العام تقييمه عن عدم رضاء كرومر عن إقصاء المعارضين الأتراك من القاهرة إلى السلطان، وعن المنافسة الإنجليزية والفرنسية بصدد بناء كبرى خطوط السكك الحديدية فى مصر، وكذا عن خطة اللورد كرومر بشأن أسبقية أعمال رى الأراضى الصحراوية فى مصر والسودان، والأعمال العامة فى البلاد (أوراق ٧٤-١٤٩) كما يمس مكسيموف المناوشات التى تثار من آن لآخر بين بطريرك الإسكندرية وبطريرك دير سيناء (ورقتان ١٦٢ - ١٦٢ ظهر)، ويطرح مسألة ضرورة تأسيس الوكالة التليجرافية الروسية فى مصر (أوراق ١٦٣ - ١٦٤ ظهر) .

وفى هذه الإضبارة رقم ٨٥٠ أيضاً يركز مكسيموف الاهتمام على خضوع الخديوى عباس " الثانى " حلمى، ويلفت انتباه وزارة الخارجية الروسية إلى مدى الضغط عليه من اللورد كرومر، مثلما يركز الاهتمام على صحة كرومر المتدهورة، ويقدم فى ختام الإضبارة خالص تقديره للتقرير السنوى الذى رفعه كرومر .

ويطيب لى بهذه المناسبة لفت انتباه الباحث أن بإمكانه العثور على هذه التقارير السنوية (الكتب الزرقاء)، على شكل كتيبات، فى دوسيهات الأرشيف السياسى على مدى سنوات إصدارها فى مصر. ووفقا لما قاله القنصل الروسى العام من كلمات :

"إن الخديوى يكن المشاعر الطيبة لروسيا" (أوراق ١٧٦ - ١٧٩ ظهر). وبالطبع لم ندرج كل المسائل التى طرحها فى رسائله الموجهة إلى الوزير لامزدوروف وكشفها المذكور آنفاً، والتى يعبر فيها عن مدى ما يبذله القناصل الروس فى مصر من نشاط مرهق ومتوتر .

ويتضح من ذلك ثراء الأرشيفات الدبلوماسية الروسية لقراءة تاريخ مصر عن تقييم العلاقات الروسية، والأوضاع السياسية فى الشرق الأوسط بشكل عام، ويمثل صندوق "الأرشيف السياسى" بلا أدنى شك قيمة وأهمية لجموع الباحثين.

والى جانب المراسلات الدبلوماسية حول القضايا السياسية البحتة توجد فى " الأرشيف السياسى" وثائق أخرى عن واقع مصر وقتئذ منها:

- وضع البلاد المالى والمقابلة والقروض (الأضابير ٢٣٤٩ - أ ٢٣٨٥).
- إصلاحات المحاكم المختلطة (الأضابير ٢٣٩٨ - ٢٤٠١).
- مسائل الكنيسة المسيحية الأرثوذكسية (٣٥١٩ - ٣٦١٠).
- العمليات الحربية فى فلسطين وفى حوض البحر الأبيض المتوسط

(الأضابير ٤١٢٤ -٤٦٣٣)

ثم عدد كبير من الوثائق الأخرى على سبيل المثال:

مذكرة العضو الروسى باشكوف "المحاكم المختلطة فى مصر" المؤرخة لسنة ١٨٨٢ (الإضبارة ٥٢٨٤).

أما تقارير الدبلوماسيين الروس السنوية عن مصر، فهى توجد فى صندوق تقارير وزارة الخارجية الروسية الذى له كود رقمى : ١٣٧ والملف رقم ٤٧٥ وتؤرخ هذه التقارير السنوية للفترة ١٨٥٩ - ١٩٠٦، ولا توجد تقارير للفترة التى قبلها وما بعدها، لأسباب غير معروفة لنا وكانت تسمى بطريقة أخرى:

" تقارير إلى صاحب الجلالة"؛ إذ كانت توجه إلى القيصر مباشرة من قبل رئاسة الخارجية الروسية، وكانت توضع وتصاغ على أساس بلاغات ورسائل القناصل الروس فى مصر، وهذه "التقارير إلى صاحب الجلالة" كانت تعرض بشكل مركز من صفحة - صفحتين إلى عشر صفحات فأكثر للأحداث الأساسية فى مصر:حالة الاقتصاد والتجارة - إصلاحات الحكومة المصرية تحت رعاية الإدارة البريطانية - نشاط الدول الأجنبية فى مصر - خطوات الخديوى فى مجال السياسة الخارجية - تصرفات السلطات الاستعمارية - الحركة الوطنية المصرية ....الخ.

كما كانت هذه التقارير تصف الخطوات والفعاليات التى كان القناصل الروس يتخذونها فى البلاد، وتعاملهم مع السلطات المصرية. وتعطى السمات المميزة للموظفين الكبار والحكام المصريين وزعماء الحركة الوطنية، وتتحدث عن النشاط التفصيلى للورد كرومر وممثلى الإدارة البريطانية الآخرين.

كما عالجت هذه الوثائق بالتفصيل الأمور والأوضاع داخل الكنائس المسيحية (الأرثوذكس، والكاثوليك، والأقباط، و "البروتستانت).

باختصار يمكن القول أنه لم تكن هناك صغيرة ولا كبيرة إلا ودخلت حيز اهتمام القناصل الروس؛ سواء ما كان يتعلق بالأوضاع الداخلية أو بالسياسة الخارجية ومواقف الدول الأجنبية فى مصر.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن " الشبكة القنصلية الروسية " كانت أوسع بكثير مما هى عليه الآن، وكان العناصر المحليون ذوى التبعية المصرية، وممثلى الأديان المسيحية. فى الغالب يقومون بالنشاط القنصلى الروسى وللدلالة على ذلك يورد الكتاب السنوى للخارجية الروسية لسنة ١٩٠٢ البيانات آلاتية:

كانت الوكالة الدبلوماسية والقنصلية العامة الروسيتان تقعان فى شارع عماد الدين رقم ١٦ بالقاهرة، وكان يرأسهما المستشار السرى الفعلى كوياندر، والسكرتير مستشار البلاط اكادى برونيفسكى، والدبلوماسى الملحق بالوكيل الدبلوماسى المستشار الوزارى جيورجى ابيج.

أما نيابة القنصلية فى القاهرة فكانت تقع فى شارع المغربى (الإسماعيلية) رقم ٢ ، وكان نائباً للقنصل المعاون الوزارى الكس شيبونين، والترجمان قسطنطين جوزف. وعلى الصعيد ذاته كانت القنصلية فى الإسكندرية تقع فى شارع الرشيد رقم ٦٨، وكان نائباً للقنصل مستشار الدولة الكسندر ايفانوف والسكرتير الأمين الوزارى ألكس بازيليفسكى والترجمان زكى فرعون.

وفيما يتعلق بالقنصل فى بور سعيد كان هنريخ برون، وهناك نائب القنصل فى السويس نيقولاس كوستا، وهناك أيضاً نائب القنصل فى دمياط سلام مرزوق، وكذا عميد نيابة القنصلية فى المنصورة عزيز جريس، وعميد نيابة القنصلية فى الإسماعيلية ماتكوفيتش، وعميد وكالة القنصلية فى الزقازيق بازائيلا، والوكيل القنصلى فى طنطا اسكندر عوض الله، والوكيل القنصلى فى أسيوط ايليا بيشاى، والوكلاء القنصليون: فى جرجا سرجيوس بطرس، وفى قنا بقطر بشارة، وفى اسنا ستفانوس، وفى الأقصر السعيد عياد، وفى سوهاج

جرجس بك بطرس وعميد الوكالة القنصلية فى بنى سويف عازر روفائيل، وعميد الوكالة القنصلية فى المنيا بشرى حنا (الدليل المصرى الإدارى والتجارى لعام ١٩٠٢، الإسكندرية ١٩٠١ - باللغة الفرنسية، الحولية الدبلوماسية للإمبراطورية الروسية لعام ١٩٠١، سانكت بطرسبورج- باللغة الفرنسية).

الوكيل القنصلى فى الفيوم جورج بك لطف الله وابنه حبيب لطف الله، وبالمناسبة جورج بك لطف الله هو الذى دفن على نفقته الشخصية فى شهر فبراير، الوكيل الدبلوماسى والقنصل العام اليكس سميرنوف الذى كان يعمل بهذه الصفة من ١٩٠٥ إلى ١٩٢٤ (المحفظة "الوكالة الدبلوماسية والقنصلية الروسية العامة فى مصر " ملف ٣، إضبارة ٢٦٧ ، ١٩٢٤ - ١٩٢٨، ورقة ٢٣٥ ظهر).

ليس من الصعب أن نلاحظ أن الوكالات الدبلوماسية والقنصلية الروسية غطت جميع محافظات ومديريات مصر، ولذلك كانت تمتلك كل المعلومات عنها، وتمد بها الوكيل الدبلوماسى والقنصل العام الروسى والذى أصبح (اعتباراً من عام ١٩١١ وزيراً مفوضاً) وتركزت فى يديه كل السلطات الدبلوماسية والقنصلية فى هذا البلد.

ومن البديهى أن مثل هذه التركيبة فى الخارجية الروسية مكنت من تجميع المادة التاريخية النوعية والكبيرة، التى مازالت محفوظة فى أرشيف السياسة الخارجية للإمبراطورية الروسية فى حالة جيدة.

أنه من الطبيعى، وبمثل ما تواجدت به الوكالات القنصلية المصرية فى روسيا القيصرية، كانت هناك المنشات السياسية التركية أيضاً: فى سنة ١٩١١ وجدت سفارة حكومة تركيا الفتية التى رأسها طرخان باشا فى سانكت بطرسبورغ.،أما القنصليات والوكالات القنصلية فكانت موجودة فى سانكت بطرسبورغ. وموسكو واوديسا والورسو، ونيقولايف واوباقوريا وفيودوسيا

وسباستوبول، وتاجانروج ورستوف على نهر الدون، وتفليس وكارس وباطوم وبونى، نوفوروسيسك وحتى فى مدينة فلاديفوستوك فى الشرق الأقصى من روسيا (الحولية الدبلوماسية للإمبراطورية الروسية لعام ١٩١١، سانكت بطرسبورغ، ص ٥٢- باللغة الفرنسية).

إن التقارير السنوية للخارجية الروسية، مثل سائر الوثائق الدبلوماسية (وليست فقط الدبلوماسية) عن مصر، كانت تحمل طابعاً ودياً، وكل مؤرخ اطلع قليلاً على هذه المسالة لابد أن يلاحظ اشتراك التشكيلات المصرية إلى جانب الجيش العثمانى فى الحروب الروسية التركية الكثيرة، وطابع العلاقات الروسية التركية المعادية بصورة عامة اعتباراً من القرنين الخامس عشر والسادس عشر. ولنورد مقتطفاً واحداً من تقرير الخارجية الروسية لسنة ١٨٧٨ الذى يميز، فى نظرنا، نهج روسيا الإمبراطورية السياسى تجاه مصر من جهة ومن جهة أخرى، التوجه السياسى للوثائق الدبلوماسية الروسية عامة (وليس الدبلوماسية فقط):

"فى شهر سبتمبر (من العام الماضى) استؤنفت علاقاتنا الدبلوماسية مع مصر التى انقطعت أثناء الحرب الماضية مع تركيا فى التعليمات التى أعطتها وزارة الخارجية لمستشار الدولة الفعلى (ليكس) ثم لفت نظر ممثلنا، بالدرجة الأولى، نحو بذل جهوده ما أمكن لإضعاف نفوذ بريطانيا التى اكتسبت المزيد من القوة فى مصر. ولهذه الغاية كُلف بتحاشى التدخل المباشر فى شئون إدارة مصر، ولكن بأن يحاول كسب ود الخديوى ووزاراته، بإقناعهم أن الحكومة الإمبراطورية، رغم طابع الكراهية الذى اتسمت به أفعالهم أثناء الحرب الماضية، سوف تتخذ شأنها فى السابق موقفاً مناصراً لمصالح مصر" (د.غينادى غوريا تشكين: روسيا ومصر فى ضوء الأرشيفات الروسية (أواسط القرن الـ١٩- بداية القرن ٢٠ ص ٥٠) - ونُشر هذا الكتاب فى شهر نوفمبر فى عام ٢٠٠٢ عن الهيئة المصرية العامة للكتاب).

من بين المحافظ الرئيسية فى أرشيف السياسة الخارجية لروسيا

الإمبراطورية التى تحوى وثائق عن مصر، محفظة "السفارة فى القسطنطينية"، ملف رقم ٩٠. إن تركيبة هذا الملف مماثلة لمضمون الملف رقم ٤٨٢ لمحفظة "الأرشيف السياسى" لكنها أكثر تفصيلاً وتنوعاً. إن محفظة "السفارة فى القسطنطينية" هى عبارة عن بضعة آلاف من الأضابير المكرسة للاقتصاد والتجارة والأوضاع السياسية فى مصر والخ ...

وتستوعب الاهتمام، المراسلات الدبلوماسية للسفارة الروسية فى القسطنطينية، على وجه الأخص، حيث كان يرأسها أمثال هؤلاء الشوامخ "للدبلوماسية الروسية من السفراء :

منهم النبيل ن. اجناتييف (١٨٦٤- ١٨٧٧)، النبيل أ. لوبانوف- روستوفسكى (١٨٧٨ -١٨٨١)، أ. نيليدوف (١٨٨٢ - ١٨٩٧)، إ. زينوفييف (١٨٩٨ - ١٩٨) وآخرون.

عمل معظمهم فى الإمبراطورية العثمانية فى منصب السفير لمدد تتراوح بين عشر وخمسة عشر عاما. وكان هؤلاء المحترفون الأفذاذ البارزون فى مجال نهج السياسة الخارجية للإمبراطورية الروسية، ليس فقط منفذين ممتازين لإدارة القيصر وتعليمات رئاسة وزارة الخارجية للإمبراطورية، بل وأيضاً وواضعى النهج السياسى، سواء أكان تجاه الإمبراطورية الروسية وحكام ولاياتها أم فى ارتباطاتها مع استراتيجية نشاط الحكومة الروسية على المضمار الأول. ويمكن أن يتأكد من ذلك كل باحث عندما يتعرف على بلاغاتهم وملخصاتهم التحليلية عميقة المضمون الموجهة إلى سانكت - بطرسبورغ، وعندما يطلع على تعليماتهم وتوصياتهم التى يتم إرسالها للقناصل الروس فى مصر من القسطنطينية.

والآن يجئ دور محفظة أرشيف السياسة الخارجية لروسيا الإمبراطورية - "الوكالة الدبلوماسية والقنصلية العامة فى مصر" التى سيستفيد منها الباحثون

أيضاً .

تعتبر المحفظة "الوكالة الدبلوماسية والقنصلية العامة فى مصر" إحدى مجاميع الوثائق التاريخية الكبيرة فى أرشيف السياسة الخارجية لروسيا الإمبراطورية فى مجالات السياسة وعلم الاجتماع والتاريخ والاقتصاد والفلسفة والثقافة والأيديولوجيا، ومجالات أخرى فى تقويم وكيان مصر المادى والروحى، وتشتمل على ثلاثة ملفات ١ ، ٢ ، ٣ ولهذه الملفات الثلاث رقم واحد ٨٢٠، وتسرى على الفترة الزمنية من ١٧٨٣ إلى ١٩٢٠ ومع الوضع فى الاعتبار الملف رقم ٣ الذى ظهر حديثاً نسبياً، تمتد هذه الفترة حتى سنة ١٩٢٩ ، متضمنة جزءً لا بأس به من المرحلة السوفياتية فى تاريخ الاتحاد الروسى.

وتوجد الوثائق التاريخية الرئيسية فى الملف ١الذى يحتوى على التقارير والبلاغات السياسية (أنظر الأضابير ١٥١ - ١٥٤) إلى النبيل لامزدورف رئيس الإدارة الآسيوية من الخارجية الروسية. وفى الأضابير ٢٦٥ - ٢٨٣ سيكتشف الباحث تبادل الرسائل ما بين القنصلية الروسية العامة فى مصر والسفارة الروسية فى القسطنطينية، كما تشمل وحدة الحفظ ٢٨٤ -٢٨٧ على مراسلات القنصلية العامة مع الوكالات القنصلية فى الإسكندرية وبور سعيد والسويس، مع الوكلاء القنصليين فى سائر المدن والمديريات المصرية الكبيرة.

استعدنا كثيراً من الوثائق القديمة من بور سعيد والتى يرجع تاريخها لسنة ١٨٩٤ ووجدنا فيها بيانات دقيقة وتفصيلية، لا يعرف عنها حتى الآن باحثو تاريخ الطبقة العاملة المصرية والحركة العمالية المصرية، وهى عن اضطرابات (اعتصامات) ناقلى الفحم المصريين والعاملين على ماكينات التجريف (الكراكات)، أنظر، على سبيل المثال، الملف ٨٢٠/١ والأضابير ٣٣٣ - ٣٣٤ - ٣٣٧.

وقد نشرت هذه المصادر أيضاً فى كتاب "روسيا ومصر فى ضوء الأرشيفات

الروسية".

وتحتوى الأضابير من رقم ٣٩٠ إلى رقم ٣٩٥ على مراسلات الوكالة الدبلوماسية والقنصلية العامة مع وزارة الخارجية المصرية.

وسيجد الباحث فى الأضابير ٦٥٧ - ٦٥٩ معلومات عن اللاجئين اليهود الذين هربوا من فلسطين فى ١٩١٤ - ١٩١٧ إبان الحرب العالمية الأولى، كما يمكن أن يجد الدارس فى هذا الملف، كما فى الملف رقم ٢، مادة عن: التجارة ، قناة السويس، الأموال، السكة الحديد والزيارات المتكررة لأسرة رومانوف الحاكمة فى روسيا، المدرسة الروسية فى القاهرة، الحجاج الروس المسلمين والمسيحيين، والقضايا المختلفة فى المحاكم المختلطة والخ. وخصصت الوثائق الكثيرة لنشاط الثوار الروس على أرض هذه البلاد. نوردها فى كتاب "روسيا ومصر أيضاً".

كما توجد فى هذه المحفظة معلومات تفصيلية عن أوضاع مصر الداخلية، الحركة الوطنية؛ عن مصطفى كامل ومحمد فريد، وعن الأحزاب المصرية الأخرى وعن زعمائها.

وفى نظرنا، لم تكن هناك أى مسألة طرحها الدبلوماسيون الروس فى مصرفى رسائلهم وتقاريرهم، إلا وتحويها المحفظة التى بعنوان "الوكالة الدبلوماسية والقنصلية العامة الروسية فى مصر".

ذكرنا آنفاً، قد يكون الملف رقم ٣ حديثاً نسبياً فى الستينيات من القرن العشرين. وقد وقعت فى أيدى الدبلوماسيين السوفييت وثائق البعثة الروسية (السفارة القيصرية) التى كانت توجد فى مصر بعد ثورة أكتوبر سنة ١٩١٧. أما رابطة الروس، التى تمثل اللاجئين البيض، كانت موجودة هنا حتى بداية الثمانينات. أما الوزير المفوض والقنصل العام الروسى فى مصر من عام ١٩٠٥، والذى قد تم ترميم وافتتاح مدفنه الجديد فى ٢٩ سبتمبر من السنة الحالية فى

مقابر سان جرجس فى مصر القديمة، فهو لم يعترف بالحكومة السوفياتية ولذلك أُقصى من منصبه طبقاً لمرسوم وزير الخارجية فى حكومة لينين فى التاسع من ديسمبر عام ١٩٢٧. وتوفى سميرنوف فى فبراير ١٩٢٤، وحل محله القنصل الروسى فى يافا (قبل الحرب العالمية الأولى) سرجى رازومونسكى الذى دفن أيضاً فى مقبرة سان جرجس .

كانت هذه البعثة تدون المستندات وتقوم بالمراسلة مع الجهات المختلفة، وكانت تمتلك أرشيف وثائق السفارة الروسية القديمة التى شكلت هذا الملف رقم ٣والذى يشمل أكثر من ثلاثمائة إضبارة مؤرخة فى الفترة من عام ١٩١٦ إلى عام ١٩٢٩، تتضمن معلومات قيمة وطريفة عن السنوات الأخيرة لوجود السفارة القيصرية فى مصر، وبعد حرمانها فى أكتوبر ١٩٢٤ من حقوق الامتيازات الخاصة بالبعثة الروسية، وتوجد فى هذا الملف وصية سميرنوف تركها فى عام ١٩١٦، ورسالة البعثة مع الحكومة الروسية فى المنفى (فى باريس) وحكومات الدول المختلفة والمنظمات الدولية، وبعثات البلدان الكثيرة فى القاهرة، والإدارة الأنجلو مصرية. كما يتضمن هذا الملف معطيات مفيدة عن مصاريف ونفقات البعثة، تركيبة الجالية الروسية ونوعيات وظائف العمالة المهاجرين الروس والصعوبات المادية والمعنوية التى كانوا يعانون منها . وأصبحت هذه المواد فى مركز اهتمام الباحثين منذ فترة قصيرة نسبياً، ولذلك تتمتع بحداثة المصادر المتوفرة فيها.

من بين محافظ أرشيف السياسة الخارجية لروسيا الإمبراطورية، والتى من المحتمل أن تسترعى اهتمام الباحثين، محفظة "علاقات روسيا مع تركيا، وملفها ٨٩/٨" الذى يشتمل على عدة مئات من الوثائق، ووحدة الحفظ رقم ٨٩ وتوجد فيها بضعة عشرات من الأضابير ذات الارتباط المباشر بروسيا ومصر؛ مثلاً، الإضبارة رقم ٩٦٤ التى تُسمَى "تعليمات القنصل العام فى الإسكندرية" بصدد

تعيينه مع ملحق الباتينتا سنة ١٧٨٤. وترد فيها الوثائق باللغات الروسية والإيطالية واليونانية والتركية .

وبرغم حجم هذه الإضبارة الصغير (حوالى ٢٠ صفحة فقط) فهى قيمة وثمينة للغاية. لا تقل عن طرافة وأهمية الإضبارة رقم ٩٦٨ باللغة الفرنسية، المؤرخة بشهر يوليو ١٧٨٥ "بلاغات القنصل العام فى الإسكندرية لوزير الخارجية النبيل اوستيرمان حول وصوله إلى الإسكندرية ومراسم تنصيبه فى رتبة القنصل العام ورفع العلم الروسى واستقباله للباشا وزياراته للقناصل الأجانب". وتتحدث عناوين هذه الأضابير عن نفسها ولا تحتاج إلى تعليق.

وهنا ينبغى التنبيه على الباحثين أن اللغة الروسية التى تستعمل فى الملف رقم ٨٩/٨ "علاقات روسيا مع تركيا" هى قديمة وتمثل بعض الصعوبات عند قراءة نصوص أضابيره.

وتوجد فى أرشيف السياسة الخارجية لروسيا الإمبراطورية عدد من المحافظ الأخرى التى تحتوى على معلومات عن مصر. من بينها "المكتب التركى القديم" و"المكتب التركى الجديد". ويكون أكثر ثراء وقيمة "المكتب التركى القديم" للباحث المتخصص فى دراسة موضوعات عن مصر. ويتضمن ملفها رقم أ ٥٠٢ أكثر من ستة آلاف إضبارة، ومنها ما لا يقل عن الربع، وربما الثلث، مكرسة لمصر وتستغرق فترته الزمنية من ١٨١٨ إلى سنة ١٩١٤. وتخص الأضابير من ٤٥٣ – ٥٢٠ مراسلات القنصلية فى الإسكندرية إلى السفارة فى القسطنطينية والى وزارة الخارجية فى سانكت – بطرسبورج حول مختلف المسائل، غالباً، السياسية. وعلى سبيل المثال ينص عنوان الإضبارة رقم ٤٦٥ لسنة ١٨٩٢ على: "مأمورية مستشار الدولة نشاريكوف لإدارة الوكالة الدبلوماسية والقنصلية العامة فى مصر".

وتشتمل هذه المحفظة وملفها أ ٥٠٢ على الأضابير العامة عن تغيرات فى

وضع القنصليات الروسية فى الشرق خاصة فى مصر وفقاً لمتغيرات ومستجدات كانت تحدث على مدى قرن كامل من الزمن فى البلدان الأفروأسيوية وأهدافها الجديدة.

وتنتسب إليها الإضبارة رقم ٨٥٩ سنوات (١٨٥٧ – ١٨٦٨): القنصليات فى الشرق. الميثاق القنصلى"، الإضبارة رقم ٨٦٠ (١٨٦٣ – ١٨٦٤): "عن الميثاق القنصلى فى الشرق"، الإضبارة رقم ٤٥٦٣ (١٩١٤): "حول إنشاء بعض وحدات قنصلية فى الشرق الأوسط" وتحوى الإضبارتان ٨٦٧ و ٩٤٢ معلومات وبيانات عن سكان مصر ذوى التبعية الروسية وهى، بلا شك، ستثير اهتمام الباحثين مثل الأضابير المرقمة من ٢٠١٦ إلى ٢١٥٥ ومن بينها الإضبارة رقم ٢٠٣٩ (لسنة ١٨٩١): "مسألة عقد روسيا للاتفاقية التجارية مع مصر"، الإضبارة رقم ٢١٢٦ (١٨٨٤) "توريد النفط القوقازى إلى مصر"، الإضبارة رقم ٢١٤٩ (١٨٦٣) "استيراد الخيول إلى مصر من روسيا"، وبالعكس، تحتفظ الإضبارتان رقم ٢١٥٤ (١٨٦٦) ورقم ٢١٥٥ (١٨٤٢) بالوثائق عن شراء الخيول المصرية على أيدى أصحاب المصانع الروسية لتربية الخيول.

وسيكون مهماً للدارسين الإضبارتان رقم ٢١٨٩ و ٢١٩٠ (للسنتين ١٨٥٦ – ١٨٥٧) حيث يدور الحديث حول شراء الشركة الروسية للبواخر والملاحة قطعاً من الأرض فى الإسكندرية لوكالتها وأيضا عن تعيين وكلائها فى الموانئ الشرقية وقباطنة سفنها للملاحة بين هذه الموانئ وأوديسا. وجدير بالذكر أن هذه الشركة التى تم إنشاءها عام ١٨٥٦ ساهمت فى نهضة التجارة الروسية مع الشرق.

وتكرس الأضابير المرقمة من ٣٨٠٥ إلى ٣٨٤٢ (لسنوات ١٨٥٠ – ١٨٩٥) لبطريركية الإسكندرية والأضابير ٣٩٠٤ (١٨٧٦) ، ٣٩٣٢ (١٨٨٤) و ٣٩٣٦ (١٨٩١) – لدير سانت كاترين فى سيناء.

ويوجد فى المحفظة "المكتب التركى القديم" وثائق لا بأس بها عن الأسرى

الروس وجنود وضباط الجيش العثمانى (أنظر على سبيل المثال، الإضبارة ٤٥٩٢ لعامى ١٨٧٧-١٨٧٨،والإضبارة ٤٥٩٧ لعامى ١٨٤٦و ١٨٦٠).

كما يشمل "المكتب التركى القديم" عدداً كبيراً من الأضابير حول العلاقات الثقافية والعلمية بين روسيا ومصر: بعثات العلماء الروس إلى مصر، ومشاركتهم فى الندوات الدولية هنا، وحول هبات السلطات المصرية من النوادر الأثرية والتاريخية للحكومة الإمبراطورية (مثلاً، الإضبارة رقم ٣٧٧٣ والخ). دخلت هذه الوثائق أيضاً فى كتاب "روسيا ومصر".

وبهذا المعنى، ستكون المحفظة مفيدة جداً "سانكت - بطرسبورج. الأرشيف الرئيسى (هى أيضاً موجودة فى أرشيف السياسة الخارجية لروسيا الإمبراطورية) ويتضمن الملف رقم ١٢ منها التقارير السياسية عن مصر، والملف رقم ٢٨- منشورات مطبوعة للاتفاقيات والعقود المبرمة بين بلدينا، الملف رقم ٣٤ - العلاقات التجارية بين روسيا ومصر، الملف رقم ٣٧. شركات ملاحية روسية ، الملفان ٤٩ و ٥٠ - مأموريات وبعثات علمية والخ.

وسيجد القارئ هنا أضابير هامة عن بعثة الجيولوجى تسينكوفسكى فى مصر، وعن بعثة طبية علمية لروفالوفيتس وكوروبوتشكا بغرض دراسة الطاعون فى مصر والأخير مات بعدوى هذا المرض الخطير وهو يقوم بتنفيذ المهمة التى كلف بها فى مصر.

وأخيراً، تحوى هذه المحفظة "سانكت - بطرسبورج. الأرشيف الرئيسى "الإضبارة الرابعة رقم ٤٨ (الملف رقم ١٠/١١ لسنوات ١٨٣٨ - ١٨٤٨) أكثر من ٣٠٠صفحة عن تعاون الحكومتين الروسية والمصرية فى مجال استخراج الذهب من الخامات الحاوية للذهب.

ونتحدث فى هذه الوثيقة عن المراسلات ما بين محمد على باشا ووزير الخارجية الروسية نيسلرودى، كما تتحدث عن رحلة المهندسين المصريين:على

محمد، وإيليا داشورى إلى ما وراء أورال، ورحلة مدرسهما كوفاليفسكى فيما بعد إلى مصر والسودان وأثيوبيا بهدف بناء مصنع لاستخراج الذهب فيها . وهذه المادة موجودة أيضاً فى كتاب "روسيا ومصر".

كما يمكن للمرء أن يجد معلومات عن تطور مصر الاقتصادى والسياسى والاجتماعى وفى المحافظ الأخرى من أرشيف السياسة الخارجية لروسيا الإمبراطورية نجد أشياء مثل "بعثة فى طهران" و "المكتب الفارسى" و "مكتبة الإدارة الأسيوية" وبالطبع، ومن كل ما أوردناه من المحافظ والملفات والأضابير الموجودة فى هذا الأرشيف يتأكد القارئ من طبيعة الوثائق الضخمة كماً ونوعاً والتى يمكن أن يستفيد منها أى باحث.

وتجدر الإشارة أن فى موسكو وفى حى "اربات" تحديداً يوجد أرشيف السياسة الخارجية الروسية السوفياتية الذى يتيح للقارئ الاطلاع على ما به من وثائق بعد مرور خمسين عاماً على إصدارها.

كما توجد فى موسكو أيضاً بعض المنشئات الأرشيفية منها: أرشيف الوثائق القديمة، لا تتوافر معلومات كثيرة به عن مصر.

أما الوثائق المتعلقة بسورية ولبنان فهى قليلة، أنظر المحفظة رقم ٥٢ الملف رقم ١ والمحفظة رقم ٥٢ الملف ٤.

أرشيف الدولة المركزى للتاريخ العسكرى:

ويعتبر أرشيف الدولة المركزى للتاريخ العسكرى فى المرتبة الثانية من حيث الأهمية ويقع فى حى ليفورتومو على مقربه من محطة المترو "بوما نسكايا"، حيث تتميز محافظ أرشيف الدولة المركزى للتاريخ العسكرى بأن واضعيها كانوا من المتخصصين المحترفين بدرجة كبيرة كشهود عيان للأحداث التى جرت على أرض مصر مباشرة كما سبق وأكدنا آنفاً.

وكانت السلطات العثمانية تطلب من حكام مصر، أثناء الحروب الروسية التركية العديدة، قوات وسفن ومهمات وموارد بشرية كثيرة، كما كانت الأفواج العسكرية المصرية تشارك دائماً فى العمليات الحربية ضد الإمبراطورية الروسية. ولذلك كانت هيئة الأركان الروسية تحتاج إلى معرفة أعداد وتركيبات وحالة الجيش المصرى وفقاً لما جاء فى الإضبارة رقم ٢٠٤ بالمحفظة ٤٥٢ لسنة ١٨٨٢ "قوات مصر المسلحة" تقرير ارتامونوف؛ إذ استخدم الباب العالى إبان الثلاثين عاماً الماضية قوات مصر المسلحة، ولم تتجاهل مساعدتها لها فى الحرب الأخيرة مع روسيا وقتئذ .. ولذا فمن الضرورى تماماً تقديم وصفاً موجزاً عن القوات المسلحة ووسائلها لهذا البلد المساعد لتركيا (ورقة رقم١) ويحوى هذا التقرير ١٦ صفحة.

ويورد العقيد ارتامونوف تركيبة جيش مصر ونظام تشكيله؛ من حيث عدد الفرق والأفواج والكتائب، خاصة كتائب المدفعية، والأسلحة وأوصافها فى المشاة والمدفعية والسوارى.

ووفقاً لبياناته، كان الجيش المصرى يتكون من ١٨٠ ألف فرد، وحسبما قيل أن البيانات تحدثت أيضاً عن الكليات الحربية والتشكيلات الطبية العسكرية والقوات البحرية. ومن الطريف أن يكتب عقيد هيئة أركان حرب عن أن فيلق الضباط فى الجيش المصرى أعلى من فيلق الضباط الأتراك من حيث مستوى التعليم (ورقة رقم ١٢). وتستحق اهتمام الباحثين المحفظة رقم ٤٠١-ملف رقم ٤- المؤرخين لسنة ١٨٨٢، ففى هذه الملف الكثير من الوثائق عن الجيش المصرى المأخوذة من بلاغات الملحقين العسكريين الروس فى اليونان (الإضبارة رقم ٧) وإيطاليا (الإضبارة رقم ٨) وكذا من إنجلترا (الإضبارة رقم ٩٢٨) وتركيا (الإضبارة رقم ١٠) وتُسمى الإضبارة الأخيرة، حيث أوردت معلومات عن الجيش المصرى الذى تم إعادة تشكيله طبقاً لقانون صدر فى ديسمبر عام ١٨٨١، وقد

وضعت المذكرة على يد فرنسى كان يخدم فى الجيش المصرى برتبة عميد (١ ورقة نمرة ٣٥ أ، ب، ج، ح، خ، د، س، ش، ٣٦)، وتتألف الوثيقة من الفصول التالية: هيئة أركان الحرب وزارة الحربية - المشاة الخيالة - المدفعية - مدفعية السواحل - مدافع السواحل - مدافع القلع - المهندسين - منشئات المؤخرة العسكرية. كما أوردت الوثيقة أيضاً معلومات عن السفن الحربية وسفن النقل للأسطول المصرى وسفن النقل الحكومية التى تستخدم فى الأعمال الملاحية بالبحرين الأحمر والمتوسط، وكذا المنشئآت البحرية الحربية. وبالطبع تتمتع هذه المعلومات بالصدق والأمانة، وتستحق أن يستعين بها الباحثون عن تاريخ مصر، تلك التى قام بجمعها الجنرال الفرنسى، المستشار فى الجيش المصرى.

ولعل أهم الوثائق التى يحويها أرشيف الدولة المركزى للتاريخ العسكرى هو ما اصطلح على تسميته "مأمورية العقيد هيئة أركان الحرب إلى القسطنطينية" (المحفظة رقم ٤٠١، الملف رقم ٤، الإضبارة ٤١، وذلك فى عام ١٨٨٢ (الأوراق ١-٩٩). وقد أُرسل هذا الضابط للقيام بمهمة استطلاع لضواحى القسطنطينية، وعاد إليها من جديد فى مهمة أخرى؛ وردت فى الورقة رقم ٨ من هذه الإضبارة حيث ذكرت" فى حال شن الدول الغربية عمليات حربية فى مصر يعتبر من الضرورى أن يتواجد لدى قوات التجريدة العسكرية التابعة لها واحد ما من ضباطنا وفقاً لتقديرى بهذا الصدد إلى صاحب الجلالة تكرم سيادة الإمبراطور فى ٦ من يوليو الحالى بإصدار أمر بإسناد هذا التكليف إلى العقيد سولوغوب الموجود تحت تصرف أركاننا العامة فى القسطنطينية" (ورقة ٨) ويتوجه فى نهاية أغسطس العقيد سولوغوب إلى الإسكندرية وذلك للتعرف عن قرب على آثار ضرب مدفعية السفن الإنجليزية للمدينة، بعدها استقل إحدى السفينتين الروسيتين الحربيتين حيث كانت مهمتهما متابعة تحركات سفن الأسطول الإنجليزى ووصل على متنها إلى الإسماعيلية، حيث يتقدم وراء الجيش البريطانى إلى التل الكبير، ثم إلى القاهرة. وكان المستطلع يتابع باهتمام بالغ ما

يحدث على أرض الواقع ويبعث برسائله إلى أركان الحرب العامة الروسية" .. إنها قصص رائعة لشاهد عيان عاصر العمليات الحربية وأعمال الإنجليز، وكذا جيش أحمد عرابى، فضلاً عن الشخصيات البارزة وتقاليد وعادات المصريين وسياسة الإنجليز الاستعمارية ... الخ.

وقد تم نشر معظم هذه الرسائل فى كتاب "روسيا ومصر" باللغة العربية.

إن محافظ أرشيف الدولة المركزى للتاريخ لعسكرى التى عرضناها آنفاً تعد جزءً من الوثائق الموجودة فى هذه المنشات الأرشيفية، وسيجد الباحث فى هذا الأرشيف المادة الواسعة التى جمعها الملحقون والعملاء عن الحروب الروسية التركية الكبيرة، وعن التشكيلات المصرية التى اشتركت فى العمليات الحربية إلى جانب العثمانيين، وعن الحرب العالمية الأولى وما دار أثنائها من عمليات حربية فى الشرق الأوسط وبصفة خاصة فى سيناء ومنطقة قناة السويس.

أرشيف الدولة لروسيا الاتحادية:

كما يوجد فى موسكو العديد من الأرشيفات التى تتيح للباحث التزود بمعلومات عن مصر ينتسب إليها أرشيف الدولة المركزى لثورة أكتوبر الذى يحمل الآن اسم آخر وهو:

"أرشيف الدولة لروسيا الاتحادية" ويحوى هذا الأرشيف ملفات وأضابير يتوافر فيها وثائق منقولة من جريدة "اسكرا"، وسائر المنشورات الثورية المحرمة، التى كان يصدرها فلاديمير لينين وأنصاره فى أوروبا، وكانت تنتقل إلى أوديسا من خلال الإسكندرية المصرية، وكان لها مخزناً فى مطعم سيباستوبول قرب الجمرك السكندرى وهذه الوثائق موجودة فى المحفظة "إدارة البوليس... الفرع الخاص" ملف ١٨٩٨ الإضبارة ٥، جزء ١٩، ج، نفس المحفظة "د- ٧" الملف ١٩٠٢ الإضبارة ١٥١٣. وتوجد وثائق هذا الموضوع فى كتاب "روسيا ومصر" واكتشفنا هذا الموضوع منقولاً عما يمكن وصفه "البوستة الاشتراكية" فى الأرشيف الحربى

المركزى لمعهد اللينينية المركزية، المعروف حالياً باسم مركز الدولة الروسى لتخزين الوثائق وتضمنت المحفظة رقم ٢٤ الملف رقم ١ الإضبارة رقم ٢٥٣ لسنة ١٩٠٢ (أوراق ٢٠١) وسيجد القارئ هنا فى أكبر الأرشيفات الحزبية التى كانت تخضع للجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفياتى مستندات عن تاريخ الحركات الشيوعية والاشتراكية والعمالية، وعن صلات هذه الحركات بالشيوعيين والاشتراكيين المصريين، وكذا عن دراساتهم فى جامعة الشرق الشيوعية باسم " ستالين" وبعض المعلومات المفيدة بهذا الصدد. ولكن مرحلة ما بعد ثورة أكتوبر لا تخصنا فى هذا البحث، ولا يقتصر الأمر على كشف النقاب عن الأرشيفات السالفة الذكر فحسب بل يمتد ليشمل الأرشيفات المسكوبية الأخرى.

ويوجد فى العاصمة موسكو أرشيف الدولة للآداب والفنون وفرع المخطوطات لمكتبة الدولة لروسيا الاتحادية " مكتب لينين سابقاً " وكذا الأرشيفات المتعلقة بأنشطة السينما والموسيقى والمسرح ، كما توجد فى متاحف موسكو العديد من الأرشيفات ولعل أهم الامثلة على ذلك أرشيف المتحف التاريخى المشهور والذى يعد من أكبر المنشئات الارشيفية فى العاصمة الروسية .

أرشيفات سانكنت بطرسبورج:

ونتطرق إلى وصف أرشيفات سانكت بطرسبورج التى توجد بها محافظ تزخر بمعلومات عن مصر خاصة فى أرشيف الدولة المركزى التاريخى الذى لا يوجد مثيلاً له لما يشتمل عليه من غزارة ونوعية وكمية الوثائق المتنوعة التى تعكس بصدق كفاءة عملية تأريخ روسيا على أكمل وجه؛ إذ عندما اضطلعت بمهمة علمية فى عام ١٩٨٠ بأوديسا (وتتبع فى الوقت الحالى أوكرانيا) للاطلاع على أرشيف الدولة لمحافظة أوديسا، علمت هناك، بينما كنت استفسر عن دوسيهات أرشيفية ناقصة فيه، أنها نقلت فى عام ١٩٧٤ إلى أرشيف الدولة التاريخى المركزى فضلاً، عن انتقال وثائق من أرشيفات معظم المحافظات

والجمهوريات السوفياتية اليه أيضاً .

أرشيف الدولة للتاريخ المركزى:

ويؤكد ذلك على تركز جميع الوثائق التاريخية عن مصر فى أرشيف الدولة التاريخى المركزى بسانكت بطرسبورج والذى يعتبر أرشيفاً فريداً من نوعه، لكثرة أعداد وثائقه التى تشمل صور بلاغات قنصلية من الشرق العربى خاصة مصر.

وتعتبر المحفظة رقم ١٠٧ "الشركة الروسية للبواخر والملاحة" الأساسية بالنسبة لتواجد الوثائق عن مصر، وأغلبها موجود فى الملف رقم ١ (وعدد الملفات ٢ فقط والذى يشتمل على ثلاثة آلاف إضبارة، وهذا لا يعنى أن كل هذه الأضابير مكرسة عن مصر لكن نستطيع القول أن مصر استحوذت على غالبية ما ورد بها) .

ولقد أنشئت هذه الشركة اثر حرب القرم التى كان نتيجتها هزيمة روسيا من قبل إنجلترا وفرنسا وتركيا ... وكان إنشاؤها من الأولويات القصوى، حيث احتاجت الإمبراطورية الروسية إلى إقامة روابط وصلات مع الشرق، ووفقاً لما كتبه ايجوركوفاليفسكى فيما يتعلق بضرورة إقامة العلاقات التجارية والاقتصادية مع أفريقيا الشمالية (مصر - السودان - أثيوبيا) وروعى أن تبدأ من نهاية الأربعينيات من القرن التاسع عشر.

إن إنشاء الشركة الروسية للبواخر والملاحة فى عام ١٨٥٦ وما تلاها من افتتاح وتشغيل قناة السويس وبدء عمل الخطين الملاحيين الإسكندرية - أوديسا الدائرى المباشر والخطوط الأخرى (على سبيل المثال أوديسا - بصرة) أدى إلى اختراق مجالات العلاقات التجارية والاقتصادية مع الشرق العربى، وساهم فى فتح وتوسيع وتعميق الميادين الأخرى المتعلقة بالتعامل الروسى - العربى، والروسى - المصرى بصفة خاصة، وكان تحقيق هذه الفكرة أمراً لاحقاً إذ أنه فى عام ١٨٥٨ تم تشغيل الخط الملاحى السكندرى الدائرى الذى ربط أوديسا

والقسطنطينية وبيرى (أثينا) وسميرنا ورودس والإسكندرية وبيروت ويافا والإسكندرية وتوجد معلومات كثيرة فى هذه المحفظة عن حركة البواخر لهذه الشركة (أنظر على سبيل المثال الإضبارة رقم ٣٠٦٧ لسنة ١٩٠٧ "سجل نقل البضائع والركاب على الخط السكندرى الدائرى إبان النصف الثانى من سنة ١٩٠٦") رغم أن موضوعات المحفظة "الشركة الروسية للبواخر والملاحة " مرتبطة أساساً بالملاحة والتجارة غير أنه يمكن للمرء أن يجد فى أضابيرها بيانات عن العمليات السياسية والثقافية والاجتماعية والأيدلوجية وغيرها التى جرت فى مصر على مدى القرنين التاسع عشر والعشرين، وتوجد على صفحات الوثائق للمحفظة رقم ١٠٧ تقارير عديدة ومراسلات موثقة بين عملاء الشركة الروسية للبواخر والملاحة ببور سعيد – والإسكندرية – والقاهرة، وبين مقريها فى أوديسا وسانكت بطرسبورج .

ولعل ما يلفت الانتباه تلك التقارير التى دَّونها المفتشون الذين قاموا بالتفتيش على وكالات الشركة فى السنوات ١٨٦٣ ، ١٨٧٣ ، ١٨٩٣ والمرتبطة بالأوضاع الاقتصادية والاجتماعية الهامة فى مصر ووردت بالإضبارة رقم ٤٩٣ لعام ١٨٧٣ ما مفاده "تقرير البارون شتيفير عن تفتيشه لوكالات الخط الملاحى السكندرى "وكذا الإضبارة رقم ١١٧٤ لسنة ١٨٩٣" تقرير تفتيش لميلير عن مأموريته التى قام بها لوكالات الخط السكندرى فى أبريل ومايو عام ١٨٩٣، وورد هذان التقريران فى كتاب " روسيا ومصر " .

أما تقارير الوكالات فأصبحت تصدر عنها بشكل منتظم مع بداية القرن العشرين؛ فالإضبارة رقم ٣١٦١ تتحدث عن :

" تقرير لنشاط وكالة الشركة الروسية للبواخر والملاحة فى بور سعيد" وهى عبارة عن بيانات إحصائية ممتازة على شكل جداول فى ٣٥ صفحة كما تتضمن الوثائق المماثلة عن وكالة بور سعيد لأعوام ١٩٠٣ ، ١٩٠٥ ، ١٩١٢ ، ١٩١٣ فى

الأضابير بأرقام ٣٢٢٣ ، ٣٢٩٢ ، ٣٤٤٨ ، ٣٥٠٢ وتحتوى على معلومات حول الاستيراد والتصدير إلى هذا الميناء وعن عدد الركاب والشحنات والتكلفة على متن البواخر التابعة للشركة الروسية وتشتمل على نفس الوثائق فى الأضابير ٣٢٢٢ لسنة ١٩٠٣ ، ٣٢٢٤ لسنة ١٩٠٥ ، ٣٣٠٥ لسنة ١٩٠٦ ، ٣٣٣٣ لسنة ٣٢٢٤ ، ٣٣٤١ لسنة ١٩١٠ ، ٣٤٥٠ لسنة ١٩١٣ عن حركة البضائع والركاب فى الإسكندرية وكانت نسبة الإسكندرية ٩٠ ٪ من إجمالى التجارة الخارجية فى مصر .

وكانت الإحصائيات حول الإسكندرية وحركة الركاب والبضائع غنية وقيمة جداً، إلى جانب البيانات الإحصائية التابعة للشركة الروسية للبواخر والملاحة. وبهذا الصدد سيعثر الباحث على معلومات جديرة بالاهتمام عن عدد كبير من الشركات التجارية والبحرية والتأمين والمقاولات بكل أنحاء العالم .

فضلاً عن ذلك توجد فى أرشيف الدولة التاريخى المركزى المحفظة رقم ٨٦٨ "موتشانوف – مدير هيئة الشركة الروسية للبواخر والملاحة" وتحوى وثائق هامة عن إحصائيات بحرية وتجارية وهى موجودة فى الأضابير بأرقام ١٢٤٩ لسنة ١٩١٤ ، ١٣٤٥ لعامى ١٩١٠ – ١٩١٥ ، ١٣٨٦ لعامى ١٩٠٧ – ١٩١١ ، ١٣٩١ لعام ١٩٠٥ ، ١٤١٢ لعام ١٩١٣ ، ١٤٢٤ لعامى ١٩٠٨ – ١٩١٤.. كما توجد محفظة ثانية تنتسب إلى وزارة التجارة والصناعة تكمل بشكل جوهرى الوثائق ذات الطابع التجارى والاقتصادى فى المحافظ الأخرى من هذا الأرشيف، ونقتطف بعض المسميات الواردة فى الأضابير التى تشير إلى مغزى وأهمية المعلومات المتوافرة هنا منها: "مذكرة عن الأوضاع والأمور فى وكالة الشركة الروسية للبواخر والملاحة بالقاهرة والشروط المطلوبة لزيادة حجم التجارة فبراير ١٩٠٩"، أما الإضبارة ١٤١٢ الصادرة فى فبراير ١٩١٣ فتتحدث عن "مذكرة وكيل الشركة الروسية للبواخر والملاحة بالإسكندرية حول مسألة إقامة

الثلاجات خصيصاً للبواخر التى تم بناءها للخط الملاحى السكندرى المباشر" أما الإضبارة رقم ١٤٢٣ فتشرح خطوط البواخر العاجلة فى البحرين الأسود والمتوسط سنة ١٩٠٨.

وتعبر عن الأهمية القصوى بالنسبة للباحثين الإضبارة رقم ١٤٤١ للمحفظة المذكورة آنفاً إذ يوجد بها كتاب "كتالوج" لنماذج البضائع التى كانت أكثر ترويجاً فى مصر ومنطقة الشرق الأوسط، والتى جمعتها البعثة التى أرسلتها إلى هنا، الشركة الروسية للبواخر والملاحة . وبالرغم من الحرب العالمية الثانية والعمليات الحربية التى كانت تُشن، وفى مصر بالذات، كانت هناك فى الأوساط التجارية الروسية رغبة شديدة فى زيادة حجم التجارة مع هذا البلد وباقى بلدان الشرق العربى . وقضت هذه البعثة أربعة شهور فى مصر فى مدن الإسكندرية والقاهرة ودمنهور وكفر الزيات وطنطا والزقازيق والمنصورة وبور سعيد والمنيا وأسيوط والخ

جمع أعضاء هذه البعثة فى هذه المدن جميع نماذج البضائع التى كانت تورّدها من قبل بكثرة ألمانيا والنمسا وسائر الدول ، كما درست البعثة سبل وشروط تسويقها بحيث تُبدل فيما بعد ببضائع روسية .

إن استمرار الحرب العالمية الأولى ونشوب ثورة أكتوبر حرم الشركة الروسية للبواخر والملاحة من تحقيق هذا المشروع. وقبل الحرب كانوا يولون فى سانكت بطرسبورج أيضاً مغز كبير لإقامة الصلات التجارية والاقتصادية مع بلدان الشرق الأوسط، وقبل كل شئ مع مصر.

هكذا وجهت فى سنة ١٩١٢ وزارة التجارة والصناعة إلى هنا، جماعة من الأخصائيين لدراسة الأسواق المحلية، وظهر فى كتاب ليسينكو "الشرق الوسط كسوق لتسويق البضائع الروسية" تقرير عن نشاط البعثة التى نظمتها وزارة التجارة والصناعة، سانكت بطرسبورج سنة ١٩١٣.

كما نرى ، كانت المصلحة كبيرة جداً وتحولت التقارير إلى كتب، ولكن الأمر لا يتجاوز رغبات صادقة. ولا تقتصر الإحصائيات التجارية البحرية فى أرشيف الدولة التاريخى المركزى على ذلك، بل وتمتد إلى المحافظ القيمة الأخرى كالمحفظة رقم ٩٨ "الجمعية الملاحية الأسطول الطوعى ".

نشأت هذه الجمعية سنة ١٨٧٨ نتيجة للتبرعات الشعبية كشركة مساهمة، وأخذت تحقق نقل الشحنات والمستوطنين إلى الشرق الأقصى من خلال قناة السويس، وفى حالة نشوب الحرب كانت سفننا تتمكن من نقل القوات والشحنات الكبيرة.

وتتكون المحفظة رقم ٩٨ "الأسطول الطوعى" من خمسة ملفات، ويشمل الملف رقم١ عدة آلاف من الأضابير التى تحتوى الفترة الزمنية من سنة ١٨٧٨ إلى سنة ١٩١٩، وبها فى الغالب ، توجد سجلات نوبة ورديات طاقم أو فريق السفينة مثلاً؛ تمثل الإضبارة رقم ٢٦٠٨ سجل نوبة الوردية لباخرة الأسطول الطوعى "موسكو" فى عام ١٨٨٢، وتتضمن بعض المعلومات عن وقوف هذه الباخرة فى ميناء بور سعيد.

ويؤرخ الملف رقم ٢ بالمحفظة رقم ٩٨ لسنوات ١٨٧٩ – ١٩٢٠، وسوف يهتم هنا القارئ بالأضابير ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٥ التى تتناول سنوات ١٩١٢ ، ١٩١٣ ، ١٩١٤ ، والتى لها تسمية واحدة وهى "المراسلة مع عميل الأسطول الطوعى فى بور سعيد" .

وسيركز الباحث فى الملف ٣ للمحفظة ٩٨ المؤرخة من سنة ١٩٠٨ إلى سنة ١٩١٧ على :

١- الإضبارة رقم ٦٢ (سنة ١٩١٦) تسمى "بور سعيد ، السويس والإسكندرية " وتتألف من ١٩٢ ورقة.

٢- الإضبارة رقم ٢٩٠ (لسنة ١٩١٤) وتحمل اسم " التيليغراف المصرى" و تحتوى على ١٠٠ ورقة.

وتحتفظ الإضبارتان بمعلومات متنوعة متعلقة بالركاب والشحنات، وأسعار التذاكر وفروقها بالمقارنة بين سعر الروبل الروسى والجنيه المصرى فى ذلك الوقت، وتسمى الإضبارة رقم ٢٧٩ لسنة ١٩٠٩ : "الكشوف الخاصة بالحجاج المصريين " .

ووردت بالإضبارة رقم ٥ للمحفظة رقم ٩٨ ذات الطابع السياسى، التى ترصد الأحداث فى الفترة من ١٩١٣ وحتى ١٩٢٢ عبارات نختار منها "خطابات واستجوابات موجهة إلى كبير العملاء للأسطول التطوعى فى بور سعيد حول حوادث وقعت على الجبهات المختلفة - نقل اللاجئين والمسائل الأخرى ". وتحوى هذه الإضبارة مراسلة بين قائد الكتيبة الروسية فى التل الكبير وكبير العملاء للأسطول التطوعى فيلامان فى بور سعيد بالمودعات العديدة .

كما تسلط الأضابير ٤ ، ٦ ، ٧ ، ٩ ، ١١ ، ١٥ ، ١٩ ، ٢٣ ، ٢٥ ، ٢٨ ، ٣٧ ، ٤١ ، ٤٣ ، ٤٨ الأضواء على المراسلات المختلفة للقنصليات الروسية ووكالات الأسطول التطوعى فى القاهرة والإسكندرية وبور سعيد والسويس والتى تتعلق بنقل أسرى الحرب إلى روسيا، وتخزين الشحنات والحسابات الجارية.

أما الإضبارة رقم ٥٠ فركزت على إغلاق وكالة الأسطول التطوعى فى بور سعيد.

ولا يقتصر الأمر عند حد رصد الوثائق للوضع فى مصر على المحافظ السالفة الذكر، بل يمتد ليشمل أرشيف يحوى معلومات عن مصر فى كل وزارة روسية؛ فعلى سبيل المثال تحوى المحفظة رقم ١٤٠٥ (وزارة العدل) الملف ٥٣١ : الإضبارة ٤٩٣ (سنوات تمتد من ١٩٠٧ وحتى ١٩١٠) استنتاج وزارة العدل حول مسألة إصلاح المحاكم المختلطة المصرية التى طرحتها وزارة الخارجية الروسية.

والإضبارة رقم ٤٩٢(١٩٠٧ - ١٩١١م) تحوى مراسلة وزارة الخارجية الروسية حول المواثيق الجديدة التى وضعتها اللجنة المختصة بالإصلاحات القضائية التى أجرتها الحكومة المصرية. كما ركزت المحفظة ذاتها والأضابير الواردة بها ٨٤٣ ، ٥٧٤ ، ٧١٨ على استنتاجات موظفى وزارة العدل الروسية حول مسألة ما خاصة بالقضاء المصرى، حيث كان لروسيا مندوب دائم لدى المحاكم المختلطة فى مصر فضلاً عن تمثيلها لدى لجنة الدين المصرى، والمجلس الطبى الدولى. ومن جهة أخرى كانت توجد فى أرشيف الدولة التاريخى المركزى عدد كبير من الأضابير التى تتعلق بالعلاقات الكنسية بين بلادنا والوضع الدينى فى مصر، ويؤكد ذلك المحفظة رقم ٧٩٧ ، والملف ٣٧ والإضبارة رقم ١١٥ المؤرخة فى عام ١٨٦٧ ونفس المحفظة والملف ٤٠ والإضبارة لسنة ١٨٧٠ - ١٨٧١ وتتعلق بمناوشات حدثت بين السوريين واليونانيين فى مصر خاصة فى أوساط المسيحيين الأرثوذكسيين. وتتضمن نفس المحفظة ٧٩٧ الملف ٦٢ الجزء ٢ الإضبارة رقم ٣ (١٨٩٢ - ١٨٩٣) والتى تركز على وثائق الوكالة الدبلوماسية الروسية والقنصلية العامة عن أوضاع الكنيسة القبطية، وعن مدى تقاربها مع الكنيسة اليونانية الأرثوذكسية. (أنظر الأوراق ٢٨ - ٣١ - ٤٣ - ٤٧ - ٥٣ - ٥٦ - ٦٣ - ٦٦ - ٧٥ - ٧٩).

كما تركز الإضبارة رقم ٣٦٨ لسنة ١٨٥٨ فى الملف ٢٨ والمحفظة ٧٩٧ على أوضاع الكنيسة الأرثوذكسية فى مصر، والتركيبة القومية لأعضائها وعن قمتها والكنائس والكليات والمؤسسات الدينية فى القاهرة والإسكندرية وباقى مدن البلاد وعن موارد البطريركية .

ويشمل أرشيف الدولة التاريخى المركزى أيضاً الوثائق التى ترجع إلى المرحلة المبكرة للتاريخ الروسى؛ إذ تحتوى المحفظة رقم ٧٩٦ على الملف ٣٤ والإضبارة الصادرة سنة ٦٥٣ وعلى ١٣٤ صفحة من النص اليونانى والروسى القديم كما تحتوى على تخصيص النقود بناء على طلب بطريرك الإسكندرية،

ونفس المعنى تحويه الإضبارة ٥١٧٩ حول إرسال النقود من موسكو إلى دير سانت كاترين فى سيناء سنة ١٨١٦.

ومن بين الأضابير الموجودة فى أرشيف الدولة التاريخى المركزى تلك التى وردت بالرقم ١٦٣٢ على ١٢ صفحة وعنوانها : طلب النبيل المصرى جاديسى بك حول منحه التبعية الروسية لقاء خدماته الجليلة التى قدمها عمه على بك الكبير.

كما توجد إضبارتان هامتان فى المحفظة رقم ١٦٣٠ الملف ١ إحداها رقم ٢١ -كشوف التابعين للحكومة الروسية الذين يقطنون الإسكندرية ودمياط والقاهرة، فضلاً عن كشوف السفن الروسية التى كانت ترسو فى هذه الموانئ سنة ١٨١٧ ، ١٨٢٠، وثانيها الإضبارة ٢٨٤ لسنة ١٨٣٤ فكانت تسمى رسالة بوجوس بك من مصر إلى وزير العدل د. داشكوف عن العلاقات بين روسيا ومصر وعن المراسلة بين وزير الخارجية الروسية تيسلرودى وداشكوف. وهذه الموضوعات الواردة فى محافظ أرشيف الدولة التاريخى الروسى تنتسب إليها الإضبارة رقم ٤٦ من المحفظة فادييف المؤرخة فى ٢٣ من شهر يونيو لسنة ١٨٧٦ حيث يقال عن رسالة الفلان اسكندر زيليونى إلى روستيسلاف فادييف التى يكتب فيها المؤلف حول "المناورات السياسية ضد الخديوى إسماعيل وضرورة تواجده هناك " وكان روستيسلاف فادييف يعمل عند الخديوى إسماعيل "وزير الحربية " - والمستشار الحربى الروسى فى العالم العربى خلال العامين (١٨٧٥ - ١٨٧٦) أنظر الكتاب روسيا ومصر وعثرنا على إضبارة أخرى فى المحفظة رقم ٨٢١ والملف ١٣٣ والإضبارة ٦٢٥ فى مطلع القرن العشرين عن تقرير موظف انتاكى التابع لوزارة الداخلية الروسية عن مأموريته إلى القاهرة والقسطنطينية لتوضيح علاقات المسلمين المتبادلة لمختلف البلدان وانتسابهم لروسيا.

وهناك ٧٠ورقة متضمنة فى هذا التقرير المؤلف من ١٥٤ صفحة معلومات عن مصر وهذه الإضبارة هامة وملحة جداً إذ يُحفظ فى المحفظة ١٣٥٨ الملف ١ الإضبارة ٩٥٢ التى تحوى المراسلات بين مراسلى وكالة بطرسبورج التليجرافية فى الخارج وفى مصر تحديداً وتتضمن المادة المتنوعة والطريفة فى روسيا ومصر عن أحداث وقعت ما بين (١٩٠٥ – ١٩٠٧) متضمنة برقيتين متعلقتين بالثورة البرجوازية الروسية وقد كانت تتواجد الوكالات قبل الحرب فى القاهرة والإسكندرية وبور سعيد والسويس والخرطوم(ص١ – ١٩٢) ونسوق فى هذا الإطار قصة جذابة تتعلق برغبة رجال الأعمال الروس فى تحقيق الأهداف الإنتاجية فى روسيا ووردت فى الأضابير – المحفظة رقم ١٢٦٣ الملف ١ دفتر رقم ١١٦ سنة ١٨٧٩ "المسجل عن ميثاق الرفاقية الروسية لكبس وحلج الأقطان الميكانيكيين فى مصر – المحفظة ٢٢ الملف ٢ ، الإضبارة ٢٧١٣ ، ٢ يونيو – ٥ نوفمبر لسنة ١٩٠٢ قصة عن تصفية أمور الرفاقية الروسية لكبس وحلج الأقطان الميكانيكية فى مصر وتم تصفيتها نتيجة للخسائر والأضرار التى لحقت بها وتم توثيق ما جاء بها من مقتطفات الصحف والمجلات وكذا المحفظة رقم ٢٢ الملف ٢٢ الإضبارة ٢٧١٣ لسنة ١٩٠٢ الإضبارة المتعلقة بتأسيس جمعية المساهمة الروسية للمنشآت الكهربائية والتى لاقت نفس المصير المحتوم .

وتستحوذ الموضوعات التجارية والبحرية على الاهتمام لذا تم إدراجها فى أرشيف الدولة التاريخى المركزى مثلما أدرجت بها تحركات الأسطول البحرى الروسى وكذا تلك الوثائق التى ترصد الصراع السياسى والعسكرى فى مصر ومواقف الدول الأوروبية من هذا الصراع وفقا لما قام بتسجيله قادة السفن الحربية فى سجلات تاريخية تفصيلية خلال رحلاتهم حول الكرة الأرضية وأثناء نوبات السفن الروسية الدائمة فى البحر المتوسط؛ وهو ما تؤكده السجلات التاريخية لسفينتين روسيتين كانت مهمتهما حماية السفن الإنجليزية والفرنسية المجهزة والمعدة للإنزال البرى خلال اندلاع انتفاضة احمد عرابى باشا.

وتاريخ مصر ورد تفصيلياً فى الأضابير بالمحفظة رقم ٢٨ الملف ١ الإضبارة ١٤ لسنة ١٨٨٦ المحفظة ٤١٠ الملف ٢ ، الإضبارة ٢١٧٦ لسنة ١٨٨٢ ، المحفظة ٨٧٠ ، الملف ١ ، الإضبارة أ ١٣١٨١ لسنة ١٨٨٠ والإضبارة ٨٩٨ ، الملف ١ ، الإضبارة ٤٧ لسنة ١٩١١ .

ويعتبر أرشيف الدولة التاريخى المركزى وأرشيف الدولة المركزى للأسطول الحربى المركزى بمثابة متاحف أرشيفية كبرى خاصة بمدينة سانكت بطرسبورج فضلاً عن وجود مجموعات أرشيفية لمنزل بشكين الشهير وفرع المخطوطات للمكتبة الروسية القومية ومتحف المدفعية وإذا أتيحت الفرصة للباحث زيارة سانكت بطرسبورج التى تعد إحدى العواصم العالمية الكبرى فسيجد مستودعات أرشيفية تشتمل على وثائق فريدة ترصد تاريخ مصر. بجانب مستودعات مماثلة فى موسكو وباقى مدن الاتحاد السوفيتى السابقة فأرشيف محافظة أوديسا تابع للدولة وملك لها وكذا المحافظ الفريدة التى كانت توثق لبنك المعطيات عن مصر ويعود وجود مثل تلك المحافظ إلى أن مقر الشركة المصرية للبواخر والملاحة كان فى هذه المنطقة الكائن بها أكبر ميناء فى حوض البحر الأسود مثلما كانت تتواجد بها أكبر بنوك روسية وشركات التأمين والتسليف وأكبر بورصة فى المنطقة وكانت توجد بها أيضاً اتحادات رجال الأعمال ولهذا كله كانت أوديسا عاصمة جنوبية للإمبراطورية الروسية وأكبر مركز ثقافى فى جنوب روسيا .

ويمكن للباحث فى التاريخ والاقتصاد والثقافة والفلسفة الاطلاع على العديد من الأضابير فى أرشيف محافظة أوديسا ومنها المحفظة رقم ١ ، الملف ١٦ ، الإضبارة ١٤٧ لسنة ١٨٨٦ ، المحفظة ١ ، الملف ١٧ ، الإضبارة ٥٩ ، ١٨٣ ، الإضبارة ٢١٠ لسنة ١٨٨٣ – ١٨٨٣ ، المحفظة ٥ ، الملف ١، الإضبارة ٣٨٨ لسنة ١٨٨٢ ، المحفظة ٢٧٤ ، الملف ١ ، الإضبارة ٧ (١٨٦٤ – ١٨٧٧) المحفظة ٢٧٨ الملف ١ الإضبارة ١٤٠ لسنة ١٩١٠ ، المحفظة ٢٧٨ الملف ٢ ، الإضبارة ٣ لسنة

. ١٨٩٨

١- ولعل الأكثر فائدة فى أرشيف الدولة لمحافظة - أوديسا هى المحفظة رقم ٢ ، الملف ١ ، الإضبارة ٢٨٢ لسنة ١٨٥١ " طبقاً لمذكرات القائم بأعمال محافظ نوفوروسيسك والسارابيا المحافظ الجنرال حول إقامة العلاقات التجارية المباشرة مع البلدان الساحلية للبحر الأحمر وكان هذا رداً للتجار الروس الجنوبيين على مذكرة كوفاليفسكى بشأن جدوى إقامة مثل تلك العلاقات فكان الرد سلبيا !

٢- المحفظة رقم ١ ، الملف ١٧ ، الإضبارة ٦٥ لعامى ١٨٦٨ - ١٨٦٩ عن " تصورات حول قناة السويس والتأثير المستقبلى لها على التجارة فى ميناء أوديسا " وفى هذه المرة أجاب جوف مسترسيمون برنشتين إجابة إيجابية من قبل الفئة البرجوازية يحث فيها على ضرورة استخدام الطريق الجديد إلى الشرق .

٣- المحفظة ٥ ، الملف ١ ، الإضبارة ١٩٥٦ لسنة ١٨٨٦ المراسلة مع وزارة المالية والمنشآت الأخرى المتخصصة والشركة الروسية وتتعلق بزيادة تعريفة نقل حبوب وبذور الزيتون فى السكك الحديدية والطرق المائية من بسارابيا إلى رومانيا وأوديسا وتشمل معلومات عن مصر .

٤- تحوى المحفظة رقم ٢ ، الملف ٢ ، الإضبارة ٧٠٨ لسنة ١٨٧٦ على ميثاق الشركة الروسية للبواخر والملاحة التى تقضى بقواعد عمل الخطين السكندريين المباشر والدائرى وقد وردت بتفصيل أكثر فى كتاب "روسيا ومصر". ويمكن للباحث التعرف على أرشيف منطقة بكاتيرنبورج وما ورد بها من وثائق تتعلق بأجور وإقامة المهندسين المصريين فى سيبيريا وهما على محمد وايليا داشورى اللذين اسهما فى عملية استخراج الخامات التى تحوى الذهب فى عام ١٨٤٤ تلبية لدعوى حاكم مصر وقتئذ محمد على باشا، والمهندس الروسى ايجور كوفاليفسكى وجاء ذلك بتفصيل أكثر فى كتاب " روسيا ومصر " .

بذلك نكون قد انهينا سرد الخريطة الأرشيفية لدراسة مصر من خلال الوثائق الروسية التابعة لمرحلة ما قبل الثورة الاشتراكية فى عام ١٩١٧ وما أن فرغنا من مهمة رصد الأوضاع المختلفة فى مصر الواردة فى المواد الوثائقية الأرشيفية العلمية والتى تسنى لكاتب هذه السطور العمل مرات عديدة فى تلك المنشئات الأرشيفية .

ويقدم بهذا الوصف الدقيق للأحداث التاريخية فى مصر خدمة جليلة لجموع الباحثين الروس والمصريين على حد سواء .